تفسير المصطلح القرآني بالقرآن وأثره في تحديد الدلالة الدينية للمصطلح

Interpretation of the Qur'anic Term with the Qur'an and its Effect on Determining the Religious Connotation of the term

أ.د/ محمد مدور

جامعة غرداية (الجزائر)

meddour.medj@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/04/29 **تاريخ القبول: 2021/05/28**

ملخص:

المصطلح القرآني يمثل مفردة معجمية في نسيج النص القرآني، واستعمال القرآن للمصطلح يحمله دلالة قرآنية ويحمله دلالات ومعان دينية، ويتميز ببعض الخصوصيات.

تتناول هذه الدراسة الموسومة بتفسير المصطلح القرآني بالقرآن وأثره في تحديد الدلالة الدينية للمصطلح، كيفية تفسير المصطلح القرآني بواسطة القرآن والغرض من ذلك إبراز أهمية تفسير القرآن بالقرآن وتوسيعه لينفتح على المستوى الإفرادي والاصطلاحي وتنطلق الدراسة من إشكالية: هل يحمل المصطلح القرآني دلالة واحدة في جميع السياقات القرآنية؟ وما هي طرق معالجة تعدد دلالات المصطلح الواحد؟

وتهدف هذه الدراسة إلى إبراز أهمية منهج تفسير القرآن بالقرآن في تحديد دلالة المفردة من داخل القرآن نفسه من خلال تحليل عينات ونماذج من المصطلحات القرآنية.

الكلمات المفتاحية: المصطلح، القرآن، الدلالة، التفسير، السياق.

Abstract:

The Qur'anic term represents a lexical term in the fabric of the Qur'an text. The Qur'an's use of the term carries a Qur'anic connotation and carries religious connotations and is characterized by some specifics.This study, tagged with the interpretation of the

Qur'anic term in the Qur'an, and its effect on determining the religious connotation of the term, deals with how the Qur'anic term is interpreted by the Qur'an and the purpose of that is to highlight the importance of interpreting the Qur'an with the Qur'an and expand it to open up on the individual and idiomatic level.The study starts from a a research question: Does the Qur'anic term have one connotation in all Qur'anic contexts, and what are the ways of treating the multiple connotations of one term? This study aims to highlight the importance of the approach of interpretation of the Qur'an with the Qur'an in determining the significance of the singular from within the Qur'an itself by analyzing samples and samples of Qur'anic terms.

Keywords: the term, the Qur'an, connotation, interpretation, context.

مدخل:

القرآن الكريم كتاب أوحى الله به لهداية الناس وإرشادهم إلى صراط مستقيم بلسان عربي مبين. وهو خطاب متميّز في كلّ المستويات اللسانية الصوتية والصرفية والمعجمية والتركيبية وهو متفرد في ألفاظه ومصطلحاته واختياراته المعجمية لما تتسم به من خصوصية بنائية ودلالية ومفهومية وأبعاد معرفية وكونية.

ووقوفا على حقل المصطلح القرآني، نتناول في هذه الدراسة استعانة بالدرس المصطلحي الحديث دلالة هذا المصطلح، في ضوء منهج تفسير القرآن بالقرآن، وهي مقاربة تعالج دلالة المصطلح القرآني من خلال النصوص القرآنية ذاتها، والأساليب النحوية بتحليل عينات متنوعة منه. وتنطلق هذه الدراسة من مدى فعالية تفسير المصطلح القرآني بواسطة القرآن، من خلال سياقات وروده وقضاياه ومصاحباته المعجمية ومشتقاته وسائر علاقاته.

- **خصوصية المصطلح القرآني:**

إنّ حاجة الدرس القرآني إلى الدرس المصطلحي تعكس في حقيقة الأمر حاجة الأمة إلى فهم القرآن الكريم بهذا المنهج، خاصة بعد أن تزاحمت المناهج اليوم على الأمة وكثرت المفاهيم الغربية، والمصطلحات المقلوبة نحتاج أكثر إلى تصحيح الفهم، انطلاقا من تصحيح المفاهيم والمصطلحات، وإحلالها في الفكر والواقع على صورتها المأمولة. إذا كان المصطلح

عامة هو اللفظ الدال على مفهوم خاص في مجال علمي معين، فإنّه بإضافته إلى القرآن الكريم يدلّ على ألفاظ الوحي، التي تعبر عن مفاهيم خاصة ضمن تصورات الوحي عامة إنّ اللغة في القرآن الكريم هي غير اللغة في الكلام العربي، ليس على مستوى الجذور والأصول، وليست مجرد أصوات لغوية عربية، وليست مقيدة برموزها ودلالاتها التي جرى بها الاستعمال العربي، بل هي كلمات ودلالات تحمل في طياتها صفات الألوهية وروح الوحي، فصارت بذلك ألفاظها مصابيح نورانية ومعانيها دلالات روحانية، ومن ثمّ فإنّ المصطلح القرآني في دلالته وآثاره له أبعاد واسعة تزيد عن دلالات وآثار الألفاظ والتراكيب اللغوية العادية.

- **منهج تفسير القرآن بالقرآن:**

تتعدّد أشكال وطرق التفسير، ولعلّ أبرزها تفسير القرآن بالقرآن، وهو أصل تفسيري أصيل، بل هو أكثر أصول التفسير أهمية وخطورة، من حيث فائدته في تحصيل معاني القرآن الكريم، ولذلك عدّ عند العلماء أصح الطرق الموصلة إلى فهم القرآن وتفسيره، لأنّ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله منه جل وعلا، وهذا المنهج ينقسم إلى أنواع منها:

- تفسير الآية بنظائرها.
- النص على بيان الآية للآية بتخصيص عموم أو تفسير مجمل أو تقييد مطلق.
- جمع الآيات المتشابهة في موضوع ما، سواء بمفهوم التشابه اللفظي عند المتقدمين أو بمفهوم التشابه الموضوعي المعروف عند المتأخرين بالتفسير الموضوعي.
- جمع موارد اللفظ في القرآن الكريم على طريقة أصحاب الوجوه والنظائر.

ولكن يتبادر هنا سؤال متعلق بهذا المنهج ودرجة صحته، فالظاهر أنّ ذلك راجع إلى اجتهاد المفسر، وقدرته على ربط الآية بما يوضحها من القرآن، ومدى تصور المفسر لحقيقة المفهوم، ودليل ذلك أنّ تفسير الآية بنظائرها مثلا، قد لا يوصل بالضرورة إلى الفهم السليم للنص. وهناك طريقتان لتفسير المصطلح القرآني هما:

1- تفسير اللفظ بمقتضى دلالة لغوية أو عرفية.

2- تفسير اللفظ بمقتضى الدلالة الاصطلاحية القرآنية المستقاة من سياق الاستعمال القرآني، وهذا النوع الثاني هو المنحى الذي تسير فيه هذه الدراسة إضافة إلى اعتماد المبدأ السانكروني التزامني.

- **علم المصطلح بين المصطلحية واللسانيات:**

ينتسب علم صناعة المصطلح إلى اللسانيات التطبيقية و"تهتم اللسانيات بدراسة الكلمة اللغوية ابتداء من الدال نحو المدلول، أما علم المصطلح فيهتم بدراسة مصطلح علمي أو تقني ما، من المدلول إلى الدال، فالمدلول يعرف بالمفهوم والدال يعرف بالتسمية"[1].

إنّ المصطلح القرآني مطبوع بطابع النسقية والنظام الذي يطبع القرآن الكريم كلّه، فلا تكاد تنظر في مصطلح إلا وتجد نفسك مشدودا إلى مصطلحات أخرى تتعالق معه، وإلى ضمائم لم يمتد عبرها إلى دلالات جديدة، وكما كان فهم بعض القرآن الكريم في عرف السلف متوقفا على فهم بعضه الآخر كذلك هي مصطلحاته تتمايز بأضدادها وتتحدّد خصائصها المفهومية من خلال مواقعها من غيرها من المصطلحات، والكشف عن هذه العلائق والضمائم والخصائص والمواقع إنما يتمّ بالدرس المصطلحي[2].

إنّ منهجية دراسة المصطلح داخل النص القرآني توفر أكبر قدر من الموضوعية والعلمية في تفسير دلالات المصطلح، فهي لا تعزل المصطلح عن سياقه وهذا يمنح الدارس قدرا مهما من التجرد عن الآراء المسبقة، وتمر هذه المنهجية بثلاث مراحل:

1- الانطلاق من المصطلح عن طريق الإحصاء والاستقراء الذي يعصم الدارس من الوقوع في الانتقائية والعفوية.

2- تحليل النصوص حيث يتمّ استثمار كلّ معطيات تحليل النصوص وفي مقدمة ذلك علوم اللغة من صرف ونحو وبلاغة ومعجم، وسائر ما يعين على معرفة أوضاع النصوص المقالية والتداولية. وفي هذه المرحلة ينبغي التعرف على دلالة المصطلح

العرفية قبل الاستعمال القرآني لملاحظة التطور الدلالي الحاصل بالاستعمال، ومن ثم يمكن حصر السمات المكونة للمفهوم.

3- وضع التعريف ومعرفة حدوده ولوازمه، والتعلم به حق العلم وهو زبدة جهد الدارس، ومن ثم تكون المصطلحات مفاتيح النصوص، فتفهم المصطلحات كما أنزلها الله عز وجل دون أن تحمل دلالات حدثت بعد النزول.

- **اللغة والتفسير:**

إنّ ضرورة العناية بكتب اللغة العربية نابعة من كون اللغة هي أهم مورد يستمدّ منه علم تفسير كلام الله، وبما أنّ القرآن نزل باللسان العربي فإنّ علم المفردات والمصطلحات من أجل العلوم، التي ينبغي العناية بها وقد وعى السلف أهمية العناية بهذا الحقل المعرفي فألفوا فيه مختلف أنواع التأليف، سواء الواضح منه أو المشكل أو الغريب، وذلك حرصا منهم على حفظه بشكل أسهم في حفظ الذكر الحكيم، كما أقبلوا على اللغة جمعا ودراسة وتفهما حتى قال الثعالبي عن اللغة العربية: "والإقبال على تفهمها من الديانة إذ هي آداة العلم"[(3)]، ولقد اعتبر العلم باللغة من الأدوات الضرورية للمفسر، قال الزركشي في البرهان: "ومعرفة هذا الفن للمفسر ضروري وإلا فلا يحل له الإقدام على كتاب الله تعالى، قال يحي ابن نظلة المديني: سمعت أنس ابن مالك يقول: لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالا، وقال مجاهد: لا يحلّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب"[(4)].

- **منهج الدراسة المصطلحية:**

تقوم دراسة المصطلح في هذا البحث على تناول المصطلح القرآني والبحث في معانيه ودلالاته من خلال السياقات القرآنية التي ورد فيها، أو التي تمت الإشارة إليه فيها واختيار عينات من المصطلحات القرآنية، وفهم دلالاتها في ضوء منهج تفسير القرآن بالقرآن، كما أمكن الاستفادة من إسهامات الدكتور الشاهد البوشيخي في وضع اللبنات لمنهج الدراسة المصطلحية.

- **ترسيخ مبدأ تفسير القرآن بالقرآن وتوسيع تطبيقه:**

ومن القواعد المعتبرة عند العلماء في فهم القرآن الكريم وبيانه تفسير القرآن بالقرآن، أو بسورة أدق تفسير بعض القرآن ببعض وعطف بعضه على بعض وربط بعضه ببعض، وهذه القاعدة تتجلى أكثر بالدرس المصطلحي الذي يكشف عن العلاقات والضمائم وسائر ما يجلي العطف والترابط مع عدم الاكتفاء باستيعاب الأصل العربي ومحتواه المعجمي.

اللفظ القرآني لفظ لغوي، وكثيرا ما كان تفسير المفردة كافيا للدلالة على معاني الآيات، كما نجد ذلك في التفسير المروي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) والتفسير المأثور عن الصحابة رضوان الله عليهم، ويكفي لنمثل لذلك بتفسير الرسول (صلى الله عليه وسلم) للفظ الظلم في قوله تعالى: ﴿**ولم يلبسوا إيمانهم بظلم**﴾[الأنعام 82]، بظلم = بالشرك كيف أزال ببيانه ذاك الإشكال الذي حصل للصحابة في فهم الآية. وقد يرد في القرآن شرح بسيط للمفردة مثل (القاسطون) فقد أشارت الآية إلى معنى جزئي هو قوله ﴿**فكانوا لجهنم حطبا**﴾ وقد تحدث الراغب الأصفهاني في مقدمة كتابه (المفردات) عن أهمية الألفاظ في تحصيل معاني القرآن، كما تحدث عن اعتماد الفقهاء في أحكامهم على الألفاظ القرآنية قال: "إنّ أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه ... فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب و زبدته، وواسطته وكرائمه وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم"[5].

- **تحليل عينات من المصطلح القرآني:**

نورد فيما يلي تحليل عينات عشوائية لبعض المصطلحات القرآنية وفق المنهج المذكور للإبانة عن طرق تحصيل دلالات المصطلح القرآني بالقرآن.

1- التفسير بالمؤشرات النحوية:

يفسر النص القرآني المصطلحات القرآنية بعدة طرق ومنها استعمال صيغة: (وما أدراك) فإذا جاءت هذه الصيغة فمعناها أنها تفسر ما قبلها، بشرط أن يكون الفعل بصيغة

الماضي (وما أدراك)، أما إذا جاءت بصيغة المضارع فإنه لا يفسرها ﴿**وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا**﴾ و﴿**وما يدريك لعله يزكى**﴾. أما في الماضي فقد ورد في عدة مواضع من القرآن مثل: قوله تعالى: ﴿**وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم**﴾ فقد شرح هذه الكلمة (سجين) بالقرآن، فقد وضح الإمام البيضاوي ذلك في تبيان معنى السجين، وهو الكتاب الجامع لأعمال الفجرة، ثم جاءت جملة ﴿**وما أدراك ما سجين**﴾ لتفسر ما قبلها فقال تعالى: ﴿**كتاب مرقوم**﴾ أي مسطور بيِّن الكتابة أو مُعَلَّم، يُعلم من رآه أنه لا خير فيه، كتاب مطروح تحت الأرضين، في مكان وحش.

وقوله تعالى: ﴿**العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة**﴾ وقد شرح السياق القرآني كلمة العقبة بقوله: (**فك رقبة**)، وقد ذكر الإمام البيضاوي أن لهذه الكلمة معنى أصلي وهو الطريق في الجبل استعارها بما فسرها به من الفك والإطعام، أما قوله (**وما أدراك ما العقبة**): (فهي اعتراض معناه إنك لم تدرك كنه صعوبتها وثوابها)، وقوله تعالى: ﴿**الحطمة وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة**﴾ فقد فسر السياق القرآني كلمة الحطمة بـ (**نار الله الموقدة**)، نار الله تفسير لها، والحطمة إذن هي النار التي من شأنها أن تحطم كل ما يطرح فيها[6].

2- تفسير المصطلح القرآني بالمصاحبات المعجمية:

يلتمس منهج التفسير بالمصاحبة جذوره المعرفية في التراث التفسيري، من تفسير القرآن بالقرآن الذي يعدّ من أقدم طرائق التفسير، ومنهج التفسير بالمصاحبة هو منهج تحليلي لآيات القرآن الكريم، يعمل بطريقة اعتمدها القرآن نفسه، وله مبادئ تعطيه المنهجية المعرفية في التفسير، وسنقف في إجراء هذا المنهج على مصطلح (الساعة)[7].

إنّ المفردة القرآنية هي جزء من النظام القرآني، فهي متسقة مع بقية التراكيب، ومن ثم فإنّ القرآن مبين لذاته، وأن أتقن مصدر لتبيين القرآن هو القرآن نفسه، كما قال علي ابن أبي طالب: "ينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض"[8]. ويؤكد هذا الإمام السيوطي(ت 911هـ) بقوله: "من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولا من القرآن، فما أُجمل منه في مكان فقد فسر في موضع آخر"[9]. وهذا يقتضي أنّ المعنى ينبثق من داخل النص

ولا يفرض عليه من الخارج، ولإجراء منهج المصاحبة المعجمية نتناول مصطلح (الساعة) فقد ورد في القرآن 49 مرة معرفة و8 مرات نكرة، وتبين من خلال متابعة السياقات ورصد مصاحبات (الساعة)، أنّ هناك سؤالا متكررا عن الساعة، ويأتي الجواب بإرجاع العلم إلى الله، فالمصاحبة القرآنية هي علم الساعة، قد جاءت مركبا إضافيا، ولفظ العلم جاء مضافا للكلمات التالية: (علم الكتاب – علم الله – علم الغيب – علم اليقين) وأكد القرآن أن الساعة آتية لا ريب فيها، وأخبر عن اقترابها قال تعالى: ﴿**وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل**﴾[الحجر85]، وقال تعالى أيضا: ﴿**اقتربت الساعة وانشق القمر**﴾[القمر 1]، وفعل (اقترب)، والصفة (قريب)، لهما مصاحبات عدة ومنها: (أجلهم – حسابهم – الوعد الحق – نصر الله – الصبح – فتح ... إلخ) وهذه المصاحبة من نمط المصاحبات الحرة لأنها تقبل جدوليا التبادل الحر، ولكن هذا الاستبدال ليس مطلق الحرية، فاستبدال مفردة بأخرى لا يمكنها أن يتم إلا إذا كانت المفردتان تنتميان إلى الحقل الدلالي التصوري نفسه، ومن مصاحبات (الساعة) نجد لفظة (بغتة) في ستة موارد، ومنها قوله تعالى: ﴿**حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة**﴾[الأنعام 31].

وقد جاءت مفردة بغتة حالا للساعة في ستة موارد لذا يمكن أن تعدّ هذه المصاحبة من نمط المصاحبات الوطيدة نظرا لقوة الاستدعاء إذ تكون درجة التوقع فيها عالية؛ فإذا سمع شخص (جاءتهم ... بغتة) يتوقع على الفور مفردة (الساعة). وإنّ القرآن يجعل (الساعة) قسيما لمفردة (العذاب) في أربعة سياقات باستعمال الأداة أو وكأنه يخير بينهما ومنه قوله تعالى: ﴿**حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة**﴾[مريم 75] وهذه من نمط المصاحبات المقيدة لتلازم عناصرها وعدم قبولها للاستبدال بعنصر آخر. وتحدث النص القرآني عن التكذيب والمماراة والظن في ستة موارد فمورد التكذيب في قوله تعالى: ﴿**بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا**﴾[الفرقان11]، ومن موارد المماراة قوله تعالى: ﴿**وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها**﴾[الزخرف 61]، ومما جاء مقترنا بالظن قوله تعالى: ﴿**قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظنا**﴾[الجاثية32] .

وتمثل شبكة المصاحبات والعلاقات المفردة القرآنية مجالا لتحقق التعالق بين معاني الكلمات ذات السياق الواحد، هذه التعالقات تمثل مقاربة لتفسير دلالة المصطلح المراد دراسته.

ويرى المفسرون أنّ مفردة الساعة تعني يوم القيامة، ومنهم الألوسي والزمخشري والقرطبي والبغوي وأبو حيان الأندلسي وغيرهم، "وتركيب (يوم القيامة) ورد في القرآن 70 مرة، وبعد تدبر هذه الآيات كلّها بتتبع سياقاتها ورصد مصاحبات (يوم القيامة) ومقارنتها مع دراسة مفردة (الساعة) في النص القرآني نخلص إلى ملاحظ عدة يمكن إجمالها فيما يلي:

1- تقترن مفردة (الساعة) مع الفعلين (جاء وآتى) في القرآن الكريم، في حين لا يرد هذين الفعلين متصاحبين مع (يوم القيامة).
2- تكرر السؤال عن (الساعة) في القرآن الكريم، وقابله إرجاع (علم الساعة) إلى الله في حين هناك سؤال واحد عن (يوم القيامة)، ولم يقابله إرجاع علمهما إلى الله.
3- ليس من مصاحبات (يوم القيامة) مفردة (بغتة)، غير أنها وردت مصاحبة لمفردة (الساعة) في (6) ستة موارد.
4- لا يصرح النص القرآني باقتراب يوم القيامة، في حين ورد التصريح باقتراب الساعة في (3) موارد.
5- لا يصرح النص القرآني بالتكذيب أو المماراة أو الظن بـ(يوم القيامة)، في حين وردت آيات صريحة في هذا الشأن مصاحبة لمفردة (الساعة)"[10].

ومن هذه الملاحظة نستنتج أنّ مصطلح (الساعة) لا تعني يوم القيامة كاملا، بل قد تكون من مقدماته، لذا فهي يوم آخر له أشراطه التي تميزه من غيره من أيام الله عز وجل إذ يحتاج إلى مزيد تدبر وإنعام نظر لمعرفته والوقوف على أسراره[11].

3- مصطلح المتشابه:

القرآن منه محكم ومتشابه ومن هنا تتأكد أهمية البحث في المصطلحات، ومعنى الآيات المتشابهات باعتبارها ضميمة، وصفة وردت في مقابل الآيات المحكمات في النظم القرآني، مما قد يجلي دلالة المصطلح ويحدد طبيعة التعالق بين الإحكام والتشابه، وتدور مادة (ش ب ه) على أصل واحد هو تشابه الشيء وتشاكله لونا ووضعا، والمشتبه ما تشابه منه مراد المتكلم على السامع لاحتماله وجوها مختلفة، وبهذا يكون التشابه قد استعمل في الأشياء المحسوسة وفي معاني الألفاظ[12].

يقول تعالى: ﴿**اللّه نزّل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني** ...﴾[الزمر23]، وحيث ورد التشابه واصفا لمصطلح آيات اتجه معناه إلى عدم التواطؤ بين المعاني والألفاظ مما يحدث التباسا في فهم المراد من اللفظ، والمعنى أنّ في القرآن آيات متشابهات تشابها كليا حقيقيا فلا يمكن أن يعلمها إلا الله ولا يحاول أن يعرف حقيقتها إلا الذين في قلوبهم زيغ وانحراف وفي القرآن آيات متشابهات تشابها جزئيا إضافيا – وهو الأكثر– وهو الذي يعلمه الراسخون في العلم برده إلى المحكمات.

ونستدل على معنى مصطلح المتشابه بوصف القرآن للمتتبعين للتشابهات بالزائغين عن الحق، المنحرفين في الفهم في مقابل الثابتين عن الحق الراسخين في العلم، إضافة إلى دلالة صيغة الفعل (يتبعون) في قوله تعالى: ﴿**فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله**﴾ دالة على التكلف في المتابعة والإصرار على تجدد الفعل وتكراره بما تفيد صيغة المضارعة ويؤكده ما يلحق (بزيغ) القلوب من سيء الأحوال في الأنفس وزلل الأفعال، وذلك هو المقصود باتباع المتشابه، وهكذا نخلص إلى أن اتباع المتشابه قولا وعملا يؤدي إلى الفتنة بين الناس والاعتقادات الفاسدة لذلك ارتبط ذكره بمن زاغت قلوبهم، ونأى الراسخون في العلم بأنفسهم عن الخوض في مشكلاته[13].

4- مصطلح (التأويل): ومن أمثلة تفسير المصطلح بالقرآن، نجد دلالة مصطلح (التأويل) فقد جاء هذا المصطلح في عدة آيات بمعان متقاربة منها: قوله تعالى: ﴿**ذلك خير وأحسن**

تأويلا﴾[النساء 58]. فقد اختلف المفسرون في معنى التأويل في الآية، فذهب بعضهم إلى أنّ معناه العاقبة، وهو المعنى نفسه الوارد في قوله تعالى: ﴿**ولما يأتيهم تأويله**﴾[يونس 39] ومعناه ما يؤول إليه الأمر، وأنّ الراجح في الآيتين أنّ التأويل فيهما بمعنى العاقبة والتحقق لا بمعنى البيان والتفسير. ويؤكد هذا المعنى تفسير معنى التأويل في قوله عز وجل: ﴿**وما يعلم تأويله إلا الله**﴾[آل عمران7]، بأنّه من قبيل التحقق الفعلي والعاقبة، وما يقع من غيوب لا يعلمها إلا الله، والمعنى الذي يقويه سياق الاستعمال القرآني ودلالة مصطلح التأويل في القرآن عموما[14].

5– مصطلح (العزيمة) العزيمة مصطلح قرآني يحمل دلالات خاصة أشار إليها القرآن في كثير من الآيات نذكر منها: (دلالة الصبر، الرشد، الصواب، الثبات، استقرار النية، التصميم على العمل، المضاء في التنفيذ، قوة الاحتمال، ضبط النفس، العفو). وتدلّ مادة العزيمة في اللغة على القوة والسرعة والإقدام، فالعزيم هو الجري الشديد، والعزم هو الجد وفي لغة هذيل العزم هو الصبر، ومنه قوله تعالى:﴿**فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل**﴾[الأحقاف35].

والعزيمة: عقد القلب على الشيء تريد أن تفعله وهو توطين النفس على هذا الفعل لاعتقاد أنّ الواجب بأن تفعله، ولذلك يقال في لغة القرآن هذا من (عزم الأمور)، أي من محكمات الأمور. التي ظهر رشدها وصوابها، ووجب على العاقل أن يعزم عليها ويقوم بها وضدّ العزيمة هو التردد والاضطراب في الرأي، ولذلك يقال: ما لفلان عزيمة. فهو لا يثبت على شيء لتردده وتلونه، وقد خاطب الله تعالى النبي بقوله: ﴿**وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله**﴾[آل عمران 159]، فهنا أمره الله تعالى أن يشاور قومه لاختيار اتجاه محدد فإذا أدت الشورى عملها جاء عقبها العزم، والمضاء في التنفيذ، مع التوكل على الله دون تردد أو تأرجح[15]، ولمعرفة دلالات هذا المصطلح في القرآن وكيف أسهمت الآيات الأخرى في توضيحه، نتطرق إلى دور المصاحبات المعجمية لمصطلح العزيمة في سياقات الورود المختلفة، نجد ارتباطه بمعنى الصبر والتقوى، قال تعالى: ﴿**لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن**

﴿**ذلك من عزم الأمور**﴾[آل عمران 186] يقول الدكتور الشرباصي: في معنى الآية: "أي تتعرضون للابتلاء والاختبار في أموالكم بالبذل أو النقص، وفي أنفسكم بالمرض أو الجراح أو التعب وستسمعون كلاما شديدا مؤذيا من أهل الكتاب ومن المشركين، وإن تتحملوا هذا الابتلاء بصبر وقوة وعزيمة وتتقوا المعصية أو الضعف فإن ذلك من الأمور التي يجب أن تعزموا عليها وتصدقوا فيها"[16]. فدلالة المصطلح هنا تدور حول التحمل وضبط النفس عند دواعي الغضب مما يدلّ على قوة الشخصية وثبات الإرادة، والاتصاف بالصبر والتقوى ومن دلالات هذا المصطلح أيضا أن فضيلة العزيمة تصحب فضيلتي العفو والغفران، يقول تعالى: ﴿**ولمن صبر وغفر إنّ ذلك لمن عزم الأمور**﴾[الشورى43]، وليس من العسير علينا أن نفهم أنّ فضيلة العزيمة تطوى بين جناحيها مجموعة فضائل ولعله مما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿**يا بنيّ أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانهَ عن المنكر واصبر على ما أصابك إنّ ذلك من عزم الأمور**﴾[لقمان17]، لقد ذكرت الآية هنا الصلاة وفيها عبادة الله بالإخلاص والمحافظة عليها تحتاج إلى عزيمة، وذكرت الأمر بالمعروف ولابد للآمر الصادق بالمعروف من التزام المعروف أولا، وهذا يحتاج إلى عزيمة، كما أن القيام بالأمر بالمعروف يحتاج إلى تحريمه والقيام بالنهي عن المنكر يحتاج إلى صبر واحتمال وعزيمة، والصبر يحتاج إلى عزيمة، هذه الفضائل تتجلّى فيها العزيمة الراشدة، ولذلك ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿**إنّ ذلك من عزم الأمور**﴾، ثم أشار القرآن إلى وسوسة الشيطان للإنسان فحال بينه وبين قوة العزم، حين أكل آدم من الشجرة قال تعالى: ﴿**ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما**﴾[طه 115]؛ أي لم نجد له صبرا أو عزيمة، فلم يحترز عن الغفلة فأنساه الشيطان عهده فأكل من الشجرة[17].

6– مصطلح (الحياة): وهو مصطلح مرتبط بالحياة، روح كلّ شيء، والروح من أمر الله. الحياة صفة لمن هداه الله، وأدّى وظيفته التي خلق لأجلها ولكلّ مخلوق غاب عنا أو حضر وصفة كمال لله، والقرآن جامع لصفات الحياة كلها قال تعالى: ﴿**أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا**﴾[الأنعام 122]. بهذا يحيا الإنسان بالقرآن قلبا وقالبا وعملا. إنّ مصطلح الحياة يتبوأ مكانة مهمة ضمن مجموع المفاهيم الكلية التي تؤدي إلى مصطلح الحياة، ومن

هذه المفاهيم الكبرى: الإسلام والذكر والصلاة والنسك والهداية والشهادة والروح والشريعة والنشور والآخرة والكفر والموت والهلاك والقتل والعمر والمستقر والدار والعيش[18].

الصفات الحاكمة: وهي الصفات التي تفيد حكما على المصطلح سواء جاءت واصفة للمصطلح، أو جاء المصطلح واصفا لها كالنعوت أو العيوب، وقد جاء لفظ الحياة موصوفا بنعت واحد في القرآن، اقترن بلفظه وهو (الطيب) في قوله تعالى: (**حياة طيبة**) ، فقد وردت صفة الطيب مقرونة بالحياة، وحياة طيبة؛ أي زكية طاهرة، قال تعالى: ﴿**من عمل صالحا من ذكر أوأنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة**﴾[النحل 97] وصفة (الطيب) كثير في القرآن، فقد وصف بها: الحياة والتحية والبلدة والكلمة والحلال ... إلخ، وتنكير (حياة طيبة) للتعظيم وللدلالة على عدم محدودية مقدار هذه الحياة الطيبة ونوعها، وكذلك للدلالة على تعدد في مراتب الحياة، لأنّ العمل الصالح يتفاوت فيعطي الله عباده المومنين ويحييهم حياة طيبة على حسب همتهم ومسارعتهم في الخيرات، وتسهم مرادفات المصطلح في توضيح دلالته، فمن مرادفات الحياة نجد كلمة (الحيوان) في قوله تعالى: ﴿**وإنّ الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون**﴾[العنكبوت 64]؛ أي هي الحياة الحقيقية الخالدة التي لا موت فيها[19]. وإلى جانب المرادف نجد الأضداد مثل الموت والنشور والهلاك، ومن الضمائم الملازمة للحياة التي تفرض نفسها هي: (الحياة الدنيا) لأن ورودها في القرآن حاضر بشكل كبير ومن ثم فإنّ دلالته موضحة ومكملة لمعنى الحياة، مثل: (الحياة الدنيا)، قال الشيخ الطاهر ابن عاشور: "فإطلاق اسم الحياة الدنيا على مدة حياة الأفراد ووصفها بالدنيا بمعنى القريبة أي الحاضرة غير المنتظرة كنى عن الحضور بالقرب، والوصف للاحتراز عن الحياة الآخرة"[20]. ومعنى الحياة في قوله تعالى: ﴿**استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم**﴾؛ أي استجيبوا إذا دعاكم لكلّ حقّ وصواب يكون فيه لكم الحياة الطيبة الدائمة، وإنّ الرسول يدعو الناس إلى الحياة بكلّ معنى من معاني الحياة يقول سيد قطب: "يدعوهم إلى عقيدة تحيي القلوب والعقول وتطلقها من أوهام الجهل والخرافة، ومن رق التقليد وجمود التقاليد ويدعوهم إلى شريعة تحيي الأفراد والجماعات، وتهيء للجميع حياة كريمة متكافلة عادلة"[21]، وقد صنف

الدكتور الشرباصي مصطلح (الحياة) ضمن موسوعته (أخلاق القرآن) ويوضح ذلك بقوله: "المقصود بالحياة ليس مجرد الحياة الحسية التي هي ضدّ الموت، إذ قد يراد بالحياة معنى مجازيا على التشبيه لإصلاح النفوس بالحياة، والعربي يقول عن الرجل صاحب الهمة ورقة الخلق أنه حي القلب، وهذا المعنى هو المراد في هذا المجال"[22]. ومن صفات (الحياة الدنيا) التي أشارت إليها الآيات هي: متاع الغرور واللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر في الأموال والأولاد، وذلك في سياق التحقير لمكانتهما، ومن العلاقات في (الحياة الدنيا) أنها عطفت عليها لفظتان هما: (الآخرة) في قوله تعالى: ﴿**لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة**﴾[يونس 64] ولفظة (زينة) في قوله تعالى: ﴿**من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها**﴾[هود 15] وضمائم (الحياة الدنيا) كلّها ضمائم إضافة، وقد أضيف إلى الحياة الدنيا ألفاظ: (متاع وزينة وزهرة وعرض).

متاع: ﴿**ذلك متاع الحياة الدنيا**﴾[آل عمران14]

زينة: ﴿**ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا**﴾[الكهف28]

زهرة: ﴿**ولا تمدنّ عينيك إلى ما متّعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا**﴾[طه]

عرض: ﴿**ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا**﴾[النور33]

7– مصطلح (الاتباع): وهو من المصطلحات القرآنية المحورية، لما فيه من معنى الانقياد والخضوع والطاعة لله، أو لمن أمرنا الله باتباعه. فالاتباع لغة: اتبعه سار وراءه، والاتباع المعنوي هو الاقتداء والامتثال، وهو أكثر ما جاء في القرآن، ويقال تبعه أي قفا أثره[23]. فالملاحظ أنّ (الاتباع) تفسره الآيات الواردة فيه، وما يصحبها من مؤشرات لغوية وما يتصل بالسياق من سوابق ولواحق، ومصاحبات معجمية وضمائم نحوية ومؤشرات سياقية وقرائن نحوية، فاتضح بهذا أنّ الاتباع نوعان محمود ومذموم.

فالاتباع المحمود هو اتباع الله والرسل والوحي والصراط المستقيم والنور والرضوان، فهذا اتباع مأمور به، اتباع هدى الله والتزام صراطه المستقيم، قال تعالى: ﴿**فمن تبع هداي فلا خوف عليهم و لا هم يحزنون**﴾[البقرة 38] أي اقتدي برسلي واحتذي أدلتي، قال الحواريون في

قوله: ﴿**ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين**﴾[آل عمران 53]، أي جعل ما يرضى الله إماما له. وقال أيضا: ﴿**إنّ أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنو معه والله ولي المومنين**﴾[الأعراف 157] الرسول متبع في قوله تعالى: ﴿**اتبع ما أوحى إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين**﴾[الأنعام 106]، الحثّ على الاتباع في قوله تعالى: ﴿**وأنّ هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** ...﴾ [الأنعام 153] أي اتبعوه وحده.

أمّا الاتباع المذموم فهو اتباع الهوى ، واتباع السبل المتفرقة واتباع المشركين، فهذا اتباع منهي عنه بصيغ النهي والمنع، كقوله تعالى: ﴿**يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله**﴾[ص26] وقوله أيضا: ﴿**ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**﴾[الأنعام153]، ويدلّ على ذلك ما يترتّب على هذا الفعل من جزاء في قوله: (فيضلك عن سبيله) و(فتفرق بكم عن سبيله) .

خاتمة

تناولت هذه الدراسة كيفية تفسير المصطلح القرآني، والكشف عن دلالاته من خلال النصوص القرآنية ذاتها، فإنّ القرآن يفسر بعضه بعضا، وقد قامت الدراسة بتحليل مجموعة من المصطلحات القرآنية مثل: العزيمة والساعة والآية والكتاب والحياة والاتباع والمتشابه ... وذلك بالعودة إلى السياقات القرآنية التي يرد فيها ذلك المصطلح، أو تشير إليه، والبحث عن دلالاته، من خلال المؤشرات اللغوية والمصاحبات المعجمية، والترادف والأضداد والضمائم والإضافة والعطف، وسائر السياقات القبلية والبعدية المتصلة بالمصطلح وتتظافر هذه العناصر لتشكل المعنى المفترض، ومن خلال هذه الإجراءات توصلنا إلى مجموعة نتائج نوردها فيما يلي:

1- منهج تفسير القرآن بالقرآن هو الأصل في التفسير.

2- القرآن الكريم يفسر بعضه بعضا، ويرتبط بعضه ببعض.

3- تسهم العناصر اللغوية في توضيح الدلالات التي يتضمنها المصطلح من سوابق ولواحق وضمائم.

4- التفسير بالمصاحبة المعجمية منهج معاصر له جذور معرفية في التراث.

5- يكتسب المصطلح دلالته داخل أسرته المفهومية، المكونة من مصطلحات التي تشاركه في نفس المجال الدلالي.

6- المصطلحات المفاتيح لها علاقة وطيدة مع باقي المصطلحات ذات الفروع والجذور.

الهوامش والإحالات

(1)- لعبيدي بوعبد الله، مدخل إلى علم المصطلح والمصطلحية، دار الأمل، تيزي وزو، الجزائر، 2012م ص 78.

(2)- مرجع الكتروني، القرآن الكريم والدرس المصطلحي . almultaka .org .يو 16 – 02 – 2020 الساعة: 40 : 23.

(3)- أبي منصور بن إسماعيل الثعالبي، فقه اللغة، تح: عمر الطباع، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت ط1 / 1999م، ص 29 .

(4)- الزركشي، البرهان في علوم القران، تح: محمد أبوالفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت. ص1 / 292.

(5)- الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم دمشق، ط3 2002 م، ص 54

(6)- ينظر: ناصر الدين ابن عمر الشيرازي البيضاوي، تفسير البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الرشيد. دمشق، ط1 / 2000. ج 3 / 510 و535 و568.

(7)- لواء عبد المحسن عطية، المصاحبة المعجمية، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1 / 2018 م ص 169.

(8)- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة 133، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ص 251.

(9)- جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، عالم الكتب، بيروت، ص 174/4.

(10)- لواء عبد المحسن، المصاحبات المعجمية، مرجع سابق، ص 179.

(11)- ينظر: لواء عبد المحسن، المرجع نفسه، ص 181.

[12]– ينظر: أمحمد الينبعي، مفهوم الآية في القرآن الكريم، مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) فاس، المغرب، ط2014/1، ص 152.

[13]– ينظر : أمحمد الينبعي، المرجع نفسه، ص 156 .

[14]– فريدة زمرد، آفاق تطوير الدرس المصطلحي للقرآن الكريم مفهوما ومنهجا، دراسات مصطلحية مجلة تصدر بالتعاون بين مؤسسة البحوث والدراسات العلمية ومعهد الدراسات المصطلحية المغرب، عدد مزدوج 2015 – 2016، ص 35.

[15]– ينظر: الدكتور أحمد الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان ، ط1 1981م، 4/ 11.

[16]– أحمد الشرباصي، المرجع نفسه، ص 15/4.

[17]– ينظر: أحمد الشرباصي، المرجع نفسه، 17/4.

[18]– ينظر: محمد الأحمدي، مفهوم الحياة في القرآن والحديث، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة ط2011/1م، ص138.

[19]– ينظر: محمد الأحمدي، المرجع نفسه، ص 138.

[20]– الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر والتوزيع. 15 / 330.

[21]– سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط11 / 1985.

[22]– الشرباصي، المرجع السابق، 4 / 113.

[23]– ينظر: الشرباصي، مرجع سابق، 5 / 138.